مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 07 / العـــدد: 04(ديسمبر 2023)، ص331-345

نشأة وتطور الكتابة والأبجدية فى مصر القديمة و أثره على الشرق الأدنى القديم

The origin and development of writing and the Alphabetic Signs, in ancient Egypt and its impact on the ancient Near East

أ.د. عائشة محمود عبد العال *

كلية البنات – جامعة عين شمس – جمهورية مصر العربية

Aisha_Adelaal@women.asu.edu.eg

تاريخ الاستلام: **2022/12/09** تاريخ القبول: **2023/06/01**

- **الملخص:**

تعد اللغة المصرية القديمة أقدم اللغات المعروفة، والأكثر استمرارية؛ وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة وجود الهيروغليفية المصرية (كنص مكتمل مفهوم) منذ 3250 ق م؛ ووجد آخر النصوص القبطية (آخر مراحل الكتابة بالمصرية القديمة) فى القرن الثامن عشر الميلادى. فهى لغة واحدة متصلة بلا فاصل أو إنقطاع أو تحول لمدة خمسة آلاف عاماً؛ الأمر الذى يمكنّا من دراسة وتتبع تطور اللغة، كما تستعرض الورقة أثر الأبجدية المصرية على اللغات القديمة وأبجدياتها فى العالم، وأهم ما ارتبط بإختراع الكتابة والأبجدية من فنون وعلوم، ومنها التدوين التاريخى لأحداث العصر.

وتهدف الورقة إلى إبراز تحديد بداية ظهور الكتابة فى مصر، ومعالجة مشكلة أسبقية ظهور الكتابة فى بلدان الشرق الأدنى القديم؛ وإظهار التأثيرات المتبادلة فيما بينهم. وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفى التحليلى المقارن فى عرض وتحليل مشكلات هذه الدراسة بما يتفق مع المنهج التاريخى.

كلمات مفتاحية: اللغة المصرية القديمة – الخط الهيروغليفى –– الأبجدية المصرية

* أ.د. عائشة محمود عبد العال

Abstract:

Ancient Egyptian language is the oldest known, and the most continuous; Recent discoveries have shown the existence of Egyptian hieroglyphs (as a complete and understandable text) since 3250 BC; and the last Coptic texts (the last phase of Egyptian writing) were found in the eighteenth-century AD. It is one language continuous without interruption or transformation for five thousand years, which enables us to study and trace its evolution.

Ancient Egyptians presented to mankind several important inventions, the most important and most influential is the invention of writing and the alphabet, it was the turning point in all human civilization.

This paper aims to highlight the identification of the beginning of the invention of writing.

Address the problem of the primacy of the emergence of writing in the ancient Near East, showing the influences among them.

The researcher followed the comparative analytical descriptive method in presenting and analyzing the problems of this study in accordance with the historical method.

Keywords:

Ancient Egyptian language, Egyptian Alphabet -Hieroglyphs -

• مقدمة:

يقول هِرمِس♦ لتلميذه: " تلقى الإنسان عن الرب هبتين مساويتين للخلود والمعرفة: العقل والإدراك، وفوق ذلك يمتلك الإنسان الإدراك التعبيرى(اللغة)؛ وإذا استعمل الهبتين بشكل سليم أصبح من الخالدين... واللغة تختلف لكن الإنسان هو نفسه...فالكلمة صورة العقل..[1]"؛ ويستطرد قائلاً: "لغتنا المصرية هى أكثر من مجرد كلمات، فإن مخارجها تفيض بالقوة....أكتب الحكمة التى فهمتها بحروف مصرية، وأنقشها على حجارة قدس الأقداس"[2].

تعد اللغة هى وسيلة التواصل البشرى؛ وقد عمل الإنسان منذ نشأته على تطوير طرق التواصل بينه وبين أقرانه، فكان لمصر السبق فى إبتكار الكتابة، التى تعددت خطوطها تبعاً للهدف من استخدامها، وقد وصلنا أول نص مكتوب- حتى الآن- بشكل مفهوم فى نحو عام 3250 قبل الميلاد[3]، غير أن حفائر البعثة الألمانية للآثار برئاسة العالم جونتر دراير، التى قامت فى منطقة أم الجعاب بأبيدوس♦ عثرت على لوحات صغيرة من العظم والعاج منقوشة بكتابات بالخط الهيروغليفى؛ فى أحد أكبر مقابر منطقة أم الجعاب بأبيدوس، التى تنتمى لحاكم كبير يعود لفترة ما قبل الأسرات (شكل 1)، التى أُرخت عن طريق عدد من الوسائل من بينها كربون 14 بالفترة من

♦هِرمِس: هو المسمى الذى أطلقه اليونان على المعبود جحوتى رب الأشمونين، منعوتاً بمثلث العظمة كناية عن فائق علمه وعظيم مكانته، وقد كانت له تعاليم دينية صوفية تعد الأساس الذى أتخذه كل من الفلاسفة المعروفين " أفلاطون وفيثاغورس" : H-J.Thissen, Herms(Trismegistos), in: LÄ II,(1977), 1133-35. ؛ وقد أعترف بفضل تحوت المعلم المصرى عدد كبير من مفكرى عصر النهضة الأوروبى؛ ومنذ العثور على المخطوطات الهرمسية فى الفيوم 1930 وفى نجع حمادى، والتى كتب معظمها باليونانية، والقليل منها بالقبطية؛ وإن حوت تعاليم موغلة فى القدم، وتمت العديد من الدراسات والترجمات لعل من أهمها ترجمة J. Brashler ; [et al.], Nag Hammadi codices, VI, ed., Douglas M. Parrott. Leiden: Brill, (1979)؛ و قد تبع هذه الدراسة؛ اللغوى الفرنسى لويس مينار بدراسة هامة عن تاريخ الهرمسيات أتبعها بترجمة جانب من تلك المتون، و قد ظهر حديثاُ ترجمة عربية لهذا الكتاب هى : لويس مينار، هرمس المثلث العظمة أو النبى إدريس ، ترجمة عبد الهادى عباس ، (دمشق 1998)؛ وأنظر أيضاً : تيموثى فريك وبيتر غاندى، متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة العدد 357 ، القاهرة 2002 .

[1] لويس مينار، هرمس المثلث العظمة، ص.82؛ 130 : 131.

[2] تيموثى فريك وبيتر غاندى، متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة، ص.32؛ 40.

[3] A.Gardner, Egyptian Grammar, Being an introduction to the study of Hieroglyphs, (Oxford 1979), 1.

♦ أم الجعاب (القعاب): وتعنى ذات الأوانى وذلك حيث غطت المنطقة بكسر وشقف الفخار الذى تصنع منه الأوانى المختلفة، وهى منطقة تقع على حافة الأرض الصحراوية بعد المنطقة المنزرعة فى أبيدوس تلك المدين المقدسة القديمة، حيث تحوى الجبانة الملكية لملوك وزعماء فترة ما قبل الأسرات المصرية؛ والتى تقع فى منتصف المسافة بين الأقصر وأسيوط الحالية، عن تفاصيل المنطقة جغرافياً وتاريخياً راجع تفصيلاً:

J. Von Beckerath, «Abydos », in : LÄ.I, (1975), col.36, 28 : 42.

3400 إلى 3200 ق م؛ وهو ما يعد دليلاً مادياً على تأريخ أقدم العناصر للكتابة المصرية –حتى الآن– بتلك الفترة المبكرة[1]، وقد كان السائد الإعتقاد بأن الكتابة السومرية أقدم فى الظهور من الكتابة المصرية، كما عمد بعض الدارسين على إعطاء فرق زمنى بين ظهور الكتابتين يمتد إلى نحو 200 عاماً فقط، حيث يعتقد أنها تطورت فى المجتمع الزراعى فى العراق، لتظهر بنفس الشكل التصويرى على الأختام لمسميات المنتجات الزراعية وغيرها فى نحو الفترة من 3200 : 3100 ق.م.[2]؛ وهذا الفرق لا يمثل بوناً شاسعاً فى تاريخ الأمم والحضارات، بل قد يعد نتاجاً طبيعياً لعمليات التواصل الثابت تواجدها بين رحاب مناطق الشرق الأدنى القديم فى تلك الأزمنة بما لا يعطى أفضلية لمنطقة عن الأخرى، أو بما لا يعد سبقاً وأفضلية لشعب عن شعب آخر فى إعتقادنا.

هذا وكان أن عثر فلندرز بيترى فى منطقة وحضارة نقادة الثانية التى تعود لنحو الألف الرابع قبل الميلاد، على نقوش مثلت علامات تكررت فى عدد من المقابر على الآثار المكتشفة بها، مما فسره بأنها نوع من الأبجدية المبكرة، التى استخدمها المصرى وقام بعمل حصر لتلك العلامات فوجدها وصلت فى عصر الأسرة الأولى لنحو 53 علامة هيجائية، استمرت حتى عصر الدول الدولة الوسطى[3]، مما يعنى أنه على الأقل مع الألف الرابع قبل الميلاد كان أن عرفت مصر ليس فقط الكتابة التصويرية، بل طورتها بشكل يصح معه إعتبارها هيجائية مبكرة، وقد استخدمها بيترى فى عمل ما يعرف بالتأريخ المتتابع الذى أرخ به الفخار الذى يعود للفترة المبكرة من الحضارة المصرية.

ومن هنا كان الرأى بأن اللغة **المصرية القديمة أقدم اللغات المعروفة** –حتى الآن–، **والأكثر استمرارية فى العالم** دونما إنقطاع؛ حيث **وجد آخر النصوص القبطية (آخر مراحل الكتابة بالمصرية القديمة) فى القرن الثامن عشر الميلادى،** فتكون **لغة واحدة متصلة بلا فاصل أو إنقطاع أو تحول لمدة خمسة آلاف عاماً؛ الأمر الذى يُمَكِنّا من دراسة وتتبع تطور اللغة**[4].

(شكل1)بطاقات عاجية عليها كتابات مصرية قديمة تحدد أسماء مدن ومنتجات تجارية

تعود للفترة من 3000 : 3200 ق م

[1] L. Mitchell, Earliest Egyptian Glyphs, in: Archaeology, 52/2, (March-April 1999); https://archive.archaeology.org/9903/newsbriefs/egypt.html, access at 8/11/2022.

[2] هو رأى ناقشته Denise Schmandt-Besserat، راجع: L. Mitchell, Earliest Egyptian Glyphs, in: Archaeology, 52/2, (1999).

[3] عبد العزيز صالح، حضارة وآثار مصر القديمة، ج1، (القاهرة 1962)، ص175.

[4] James P. Allen, The ancient Egyptian language: an historical study, (Cambridge University Press 2013), IX, 1.



نقلاً عن: L. Mitchell, Earliest Egyptian Glyphs, in: Archaeology, 52/2, (March-April 1999);

, access at 8/11/2022.**https**://archive.archaeology.org/9903/newsbriefs/egypt.html

1.الأصل والنشأة

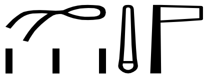
قدم الإنسان المصرى القديم للبشرية عدداً من الإختراعات الهامة منها: صناعة الفخار؛ الزراعة، والتقويم ويأتى إختراع الكتابة والأبجدية كأهم ما تم إهدائه للبشرية من مصر القديمة؛ فكانت نقطة التحول فى الحضارة الإنسانية كلها.

تعد البيئة المصرية هى المدرسة، ومصدر الإلهام فى كل أختراعات المصرى القديم؛ فمنها أختار حروفه وأبجديته؛ ونعلم أن الكتابة فى مصر القديمة التى بدأت علاماتها فى الظهور فيما قبل 3400 ق.م.، وعلى الأرجح منذ العصر الحجرى الحديث؛ حيث بدأت ككتابة تصويرية؛ أى تصور الأشياء الموجودة فى البيئة وتعبر عنها، وقد أبتكر المصرى نحو 4000 علامة تصويرية تحاكى البيئة فى جل تفصيلاتها فعلى سبيل المثال إذا أراد أن يعبر عن رجل رسم رجلاً ، وإذا أراد التعبير عن حيوان رسمه، واذا كان التعبير عن حدث يحوى حركة رسم الأقدام .. وهكذا.

2. مسميات اللغة المصرية القديمة

2.1. عند المصرى القديم نفسه :

سماها فم مصر[1]  rA n Kmt

وأيضا الكلام أو الكتابة المقدسة أو الربانية[2] mdw nTr 

2.2 المسمى الشائع حالياً

يطلق على اللغة المصرية القديمة "الهيروغليفية" وهى كلمة يونانية " ἱερογλύφος " مركبة من مقطعين "هيروس" Hieros و "جلوفوس" Glophos وتعنى النقش المقدس؛ وهى اللفظة التى تعد ترجمة للتسمية المصرية السابقة[3] mdw nTr.

2.3 أنواع خطوط اللغة المصرية القديمة

كتبت اللغة المصرية القديمة بأربع خطوط؛ عرف الخط الأول بالخط أو الكتابة الهيروغليفية التى سبقت الإشارة إليه؛ وهو فى الأغلب يكتب به على المعابد والمقابر ويمثل علامات تصويرية كاملة تطابق ما هو موجود بالفعل فى الطبيعه بشكل كامل، واستخدم منذ ظهور الكتابة حتى نهاية العصور المصرية القديمة (أول نقش هيروغليفى ظهر قبل الأسرة الأولى أى قبل 3250 ق.م.وآخر نص هيروغليفى معروف حتى الآن ظهر فى معبد فيله 394 ميلادية)[4] .

الخط الثانى هو الهيراطيقى Hieratic مشتقه من الكلمة اليونانية Hieratikos "كهنوتى" فى إشارة إلى أن أكثر مستخدميه من الكهنة كما أن غالبية نصوصه خاصة من العصر المتأخر كتب بها نصوص دينية . وهو خط مختصر من الهيروغليفية ومتصل ببعضه (الهيروغليفى كل علامة قائمة بذاتها منفصلة عما بعدها وقبلها) ، وفى الأغلب يستخدم للكتابة على أوراق البردى.[5]

[1] WB.II,891 25 .

[2] قصد بها الهيروغليفية فى النصوص الأدبية بشكل خاص من عصر الدولة الحديثة حيث أخذت الكلمة مخصص البردي؛ راجع: WB.II,180 13

[3] "هيروغليفية مصرية" من: موسوعه ويكيبيديا :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%BA%D9%84%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9_%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9 .

[4] A.Gardner, Egyptian Grammar, Being an introduction to the study of Hieroglyphs, (Oxford 1979),1.

[5] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، (القاهرة 2002)،11.

الخط الثالث هو الديموطيقى Demotic مشتق من اللفظ اليونانى Demos العامة أو الناس، والنسبة منها ديموتيكوس أى شعبى؛ ولا يعنى هذا المسمى الربط بين الخط والطبقات الشعبية فى المجتمع ولكن يعنى أنه خط المعاملات اليومية؛ ظهر منذ القرن الثامن قبل الميلاد وأستمر حتى القرن الخامس الميلادى، ظهر نتيجه تعدد الأنشطة وكثرة المعاملات خاصة الإدارية التى تحتاج لسرعة الإنجاز وهو يعد إختصار للهيراطيقى وأكثر إلتصاقاً ؛ كتب أساساً على البردى والأوستراكا (شقف الفخار)[1].

الخط الرابع هو الخط القبطى Coptic: يمثل المرحلة الرابعة من مراحل كتابة اللغة المصرية القديمة، وكلمة قبطى مشتقة من اليونانية "أيجوبتى" وتعنى مصرى. ولأن القبطية هى الصدى الأخير للغة المصرية فهى تمثل أهمية خاصة من حيث إستخدام حروف الحركة لأول مرة، الأمر الذى ساعد إلى حد كبير فى التوصل إلى أقرب نطق صحيح للغة المصرية. تكتب اللغة المصرية فى هذه المرحلة بحروف يونانية (لغة المحتل اليونانى) وأضاف إليها المصرى سبع علامات مصرية خالصة مأخوذة من الديموطيقية وليس لها ما يقابلها فى الأبجدية اليونانية وهى[2] :



من اليسار لليمين تنطق: شاى – فاى – خاى – حورى –جنجا- تشيما- تى

2.4 العصور التاريخية للغة المصرية

تنقسم المصرية القديمة إلى خمسة عصور تاريخية من ناحية التطور النحوى والإملائى والصوتى : القديمة والوسطى والمتأخرة، الديموطيقية والقبطية؛ مرحلة المصرية القديمة تبدأ بأول جملة مكتملة، ظهرت على ختم اسطوانى للملك بر إيب سن قرب نهاية الأسرة الثانية نحو 2690 ق م[3]؛ ثم أخذت تتقدم اللغه من خلال الأسماء والألقاب، وكان ظهور اللغة فى العصر الوسيط مع الأسرة الثانية عشرة، لتأتى مرحلة اللغة فى العصر المتأخر مع عصر إخناتون (الأسرة الثامنة عشرة) نحو1350 ق. م. وتبدأ تطورات فى النحو وفى النطق والعلامات المركبة، ثم تأتى مرحلة اللغة بالخط الديموطيقى حيث كان أول ظهورها نحو 650 ق. م؛ ومتطورة مباشرة من المصرية فى عصرها المتأخر،

---

[1] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، 11.

[2] عبد الحليم نور الدين, اللغة المصرية القديمة، 12.

[3] James P. Allen, The ancient Egyptian language, 3.

ويشمل الأسرات من 26: 30؛ وأستمر حتى أواسط القرن الخامس الميلادى جنباً إلى جنب مع القبطية[1]، أما الكتابة بالخط القبطى فقد ظهرت فى الأغلب على مرحلتين أحداهما مبكرة تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد متمثلة فى أقدم بردية عثر عليها –حتى الآن– وهى مكتوبة بالحروف اليونانية (Proto Coptic) وتسمى بردية هايدلبرج 414 ؛ وتشتمل على قائمة لمفردات قبطية بحروف يونانية وما يقابلها بالمعنى باللغة اليونانية كتبها مصريون؛ أما المرحلة الثانية فتبدأ فى العصر الرومانى وهى الكتابة القبطية القديمة (Old Coptic)، وترجع وثائقها إلى المصريين الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد[2]؛ وأستمرت الكتابة بالقبطية ربما حتى القرن الثانى عشر الميلادى، جنباً إلى جنب مع اللغة اليونانية، حتى أمر عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى (65- 86 هجرية) بتعريب الدواوين والكتابة باللغة العربية فى كل أرجاء العالم الإسلامى بما فيهم مصر[3] .

3. نشأة الكتابة والأبجدية فى العراق القديم

3.1 البداية

بدأ العراقيون القدماء فى نحو الألف الرابع قبل الميلاد تقريباً، نقش علامات تصويرية كتابية، أُصطلح على تسميتها بالمسمارية[4]؛ حيث بدأت فى بدايتها المبكرة ككتابة تصويرية – كما كانت المصرية القديمة–؛ حيث مثلت رموزاً بشريه وحيوانية أو جزء من أجسامها، كما كان إتجاه العلامات يكتب من اليمين حيث تنظر العلامات البشرية (شكل 2)؛ هذا وقد بدأت أقدم الكتابات فى العراق القديم مع الحضارة السومرية فى تاريخ يتراوح حول عام 2800 ق.م.

(شكل 2) لوحتا كيش، سومر نحو 3500 ق.م.



[1] James P. Allen, The ancient Egyptian language, 4.

[2] ويكابيديا, access at https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D9%82%D8%A8%D8%B7%D9%8A%D8%A9 8/11/2022.

[3] السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، (المكتبة التجارية – القاهرة 1969) ،الطبعة الرابعة، صـ219

[4] Mugnaiani, Remo, The Cuneiform Writing about The Invention of Writing , (2016) ,137.

(Image : By José-Manuel Benito/Public Domain)
K.W.Hart, Cuneiform: The Invention of Writing
/https://www.wondriumdaily.com/the-invention-of-writing
access at 13 Nov.2022

وبدأت بالشكل التصويرى، وتطورت فى الحضارات المتعاقبة فى العراق القديم فى ثلاثة مراحل بدأت بالتصويرية ثم الرمزية، وأنتهت فى مرحلتها الثالثة بالصوتية، وبالشكل المتعارف عليه للكتابة المسمارية، التى تتخذ الهيئة الرأسية للعلامات وقد يسميها البعض "طراز الإسفين"، ذلك حيث يتم الكتابة بقلم ذى رأس مثلثة محدثاً علامات رأسية، هى إختصار للأشكال التصويرية الأولى كما تقدم؛ هذا وكانت أن تطورت الكتابة أثناء مرحلتها الرمزية عن طريق إضافة المقطع الصوتى حتى يتم مواكبة التعبير المتزايد عن الفكر الديني والمعنوى عند السومريين، حيث تحول الإهتمام بالقيمة الصوتية على حساب الشكل التصويرى للمعنى؛ كما قام السومريون أيضا باضافة بعض المخصصات التى توضع قبل الكلمة لتدل على معنى محدد؛ وقد بدأ استخدام هذه المخصصات فى بدايات العصر السومرى القديم حوالى 2450 ق.م[1].

وإضافة لما سبق، أنه نقلاً عن السومريين أخذ أهل الحضارات المتعاقبة من سكان العراق القديم، كل تبعاً لبيئته وإحتياجه فى التعبير عن لغته، فى تطوير شكل العلامات التصويرية والرمزية الأولى، وتحولت إلى شكلها النهائى ربما فى عهد الآكاديين(**شكل 3**)[2]؛ ثم كان أن أنتشرت الكتابة المسمارية، ليس فقط فى العراق القديم، بل تخطتها إلى الدويلات المحيطة بها، وأصبحت أحد طرق المخاطبات الدولية الرسمية فى نحو الألف الأول قبل الميلاد وما تلاه[3].

وخلاصة القول أنه ما من شك فى أن أهم ماقدمه السومريون للحضارة الإنسانية هو إختراع الكتابة، وأن الجدال لازال دائراً حول صاحب السبق فى ذلك هل السومريون أم المصريون القدماء؟ ولكن نستطيع القول بأن كل شعب قد توصل لنظامه الكتابى مستقلاً عن الآخر وذلك لوحدة الحاجة بينهم إليها، وتشابه التفكير الإنسانى؛ كما أن المسمارية تعد من أهم الطرق الخطية التى استعملت طوال العهود القديمة، وجاء اسمها من شكل علاماتها؛ حيث كانت مركبة من عناصر علي هيئة مسامير أو زوايا (Cuneus) ولكنها مرحلة أخيرة من تطور هذه الكتابة ؛ إلا ان

---

[1] محمد الشحات شاهين، ملامح من تاريخ وحضارة الهلال الخصيب بلاد الشام والنهرين ؛ ط 2 ؛ القاهرة (2021)، ص .92 : 93.

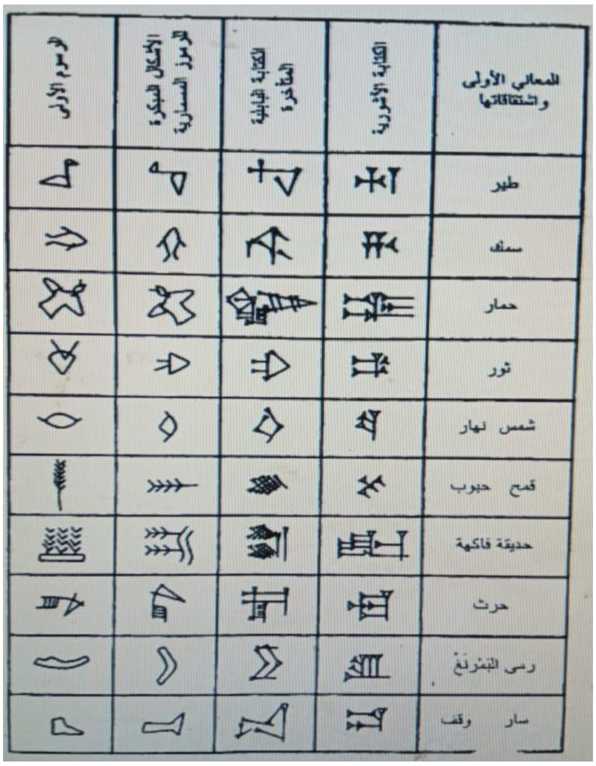
[2] فوزى الناضورى، قواعد اللغة السومرية، (القدس 2009)، 12؛ يوهانس فريدريش ، تاريخ الكتابة، ترجمه سليمان أحمد الظاهر، (الهيئة العامة السورية للكتابة، دمشق 2013)، 70.

[3] يوهانس فريدريش ، تاريخ الكتابة، ص.70؛ ونضيف أنه عثر فى مصر فيما يعرف **بأرشيف تل العمارنة** الذى يعود لعهد الملكين أمنحتب الثالث والرابع من عصر الأسرة الثامنة عشرة فى نحو (1364 ق.م.، تقريباً)، حيث كان قد عُثر على أرشيف للمراسلات فى تل العمارنة عاصمة الملك إخناتون فى نحو عام 1887 م، ويحتوى على مجموعة مراسلات دبلوماسية متبادلة بين مصر ودويلات الشرق الأدنى القديم ، وقد توزعت على المتاحف العالمية وتمت دراستها وهى مكتوبة بالخط المسمارى حيث مثل لغة المراسلات الدولية حينها، راجع عنها تفصيلاً:

W.Helck, Amarna-Briefe, in: LÄ.I,(1975), p.173-174.

الناس ظلوا يطلقون اسم الكتابة المسمارية علي النظام باكمله[1]؛ هذا وقد ظلت مستخدمة حتى القرن الأول الميلادى غير أنها تتصف بصعوبتها وتعقيداتها نظراً لتعدد العلامات الذى قد تجاوز الألف علامة عند اكتشافها فى مدينة الوركاء، وتم اختصار هذا العدد حتى وصل إلى نحو خمسمائة علامة خلال بداية الألف الثانى ق.م؛ مما يصعب القدرة على فهم اللغة، مما أدى إلى أن تصبح مهنة الكتابة وراثية فى أغلب الأحيان فى العائلة الواحدة، وحالت تلك الصعوبات دون تعلم الناس للكتابة، وكذلك التأثر أو التأثير بها؛ مما حفظ للنساخ دورهم المتميز والمرموق فى المجتمع العراقى القديم على مر عصورهم التاريخية[2] .

(شكل 3) تطور العلامات السومرية فى الكتابية المسمارية



نقلاً عن: يوهانس فريدريش، تاريخ الكتابة، ص.301، شكل (42).

3.2 خصائص الكتابة المسمارية

- تكتب من اليمين الى اليسار أو العكس، حتى كان عصر الآكاديين حيث ظهرت العلامات الفردية، التى تكتب من اليسار بدون إشارة أفقية، كما أنها فى الأغلب تكتب دون ترتيب، ويتم إستخدام مخصصات للكلمات؛ على نحج الكتابة المصرية القديمة.

---

1 Labat R. and Malbren labat F. and Manual D., epigraphie Akkadienne , paris (1976), p. 1

2 فاضل عبدالواحد، من ألواح سومر إلى التوارة، (بغداد1981)، ص. 123.

- تكتب باستخدام قلم القصب مثلث الرأس على لوح الطين[1] ؛ أما الأعداد فكتبت على هيئه دوائر، أو نصف دائرة، أو مربعات[2].
- وقد كانت كتابتها على غير الصور الطبيعية؛ هذا وقد حظى الكاتب السومرى بمرتبة رفيعة فى مجتمعه، وتلقب بأسم الحاكم، أو رئيس المعبد[3]، وكان لابد للحاكم (الملك)، أن يعرف القراءة والكتابه إذ أنه يمثل قمة هرم مجتمعه[4] .

4. تأثير الأبجدية المصرية على الكتابة والأبجديات المعاصرة والتالية

4.1 الأبجدية السينائية

قام المصرى بتطوير العلامات التى أبتكرها، للتعبير الكتابى خلال عصر نقادة الثانية من نهاية العصر الحجرى النحاسى(الخالكوليثى) أى ما يقارب نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، كما سبق ذكره عاليه، وقد توصل لأشكال تصويرية من البيئة التى يحيا بها؛ استخدمها للتعبير عن أفكاره، وما يريد أن يخطه من معانٍ شتى، وقد بلغت حتى ذلك الحين نحو ثلاثين علامة، إزدادت فى عصر الأسرة الأولى لنحو ثلاثة وخمسين علامة كتابية، تطورت إلى علامات هيجائية مبكرة[5]؛ هذا وقد كتب المصرى القديم بعلاماته هذه فى محاجر سيناء، حيث قام فلندرز بترى بجمع وتصنيف النقوش، التى تم تسميتها بالكتابة السابقة للسينائية (Proto-Sinaitic Inscriptions) أو ما قبل ظهور الأبجدية السينائية اللاحقة على آثار تلك الفترة[6]؛ ومنها تم استخراج العلامات الهيجائية، ومن سيناء تحديداً من مناطق المحاجر فى سيرابيط الخادم♦؛ نشأت وتطورت الأبجدية فى نحو عصر الدولة الوسطى أى ما يقابل الفترة من 2058 إلى 1785 ق.م.

---

1 Leech B , Mesopotamta , 2007 , 20.

2 Gnanadesikan, Amalia E ,The Writing Revolution,15.

3 عامر الجميلى , الكاتب والكتبة فى بلاد مابين الرافديين القديمة، م 6 ، العدد 20، (الموصل 2012)،ص. 169.

4 Cooper J., " In Iconography Without texts " , Writing and Art in Ancient Iraq , 2008, 700.

5 عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج.1، مصر و العراق، (مكتبةالأنجلو المصرية – القاهرة طبعة ثانية 2012)، ص.69 ، 78 ، 84 : 85.

6 ياسمين سليمان محمد، دراسة تاريخية حضارية للطريق المؤدى من منف إلى جنوب سيناء، من بداية الأسرات إلى نهاية الدولة الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات – جامعة عين شمس، (القاهرة 2017)، ص.27.

♦ سيرابيط الخادم: منطقة جبلية تقع فى جنوب غرب سيناء، بالقرب من جنوب شرق مدينة أبو زنيمة الحالية، وسطح الأرض يرتفع 3000 متراً عن مستوى سطح البحر، وتعد أحد أكثر المناطق وعورة فى سيناء، وتمثل منطقة محاجر الفيروز بشكل أساسى، قامت بها العديد من أعمال الحفائر ؛ أشهرها ما قام به العالم فلندرز بيترى واكتشف خلالها مجموعة من خمسة وثلاثين نقشاً تورخ بعصرى الدولة الوسطى والحديثة، ومن بين أهم الآثار المكتشفة بالمنطق تمثال صغير لأبى الهول يجمع بين الكتابة البوتوسينائية المكون من نحو تسع وعشرين حرفاً كتابياً مع الكتابة الهيروغليفية المعتادة، واسم وألقاب الملك صاحب التمثال مشوه والأغلب أنها قطعة تورخ بعصر الأسرة العشرين، ومن بين أشهر الآثار بالمنطقة معبد الربة حتحور ربة سيناء وربة الفيروز، راجع تفصيلاً:

ياسمين سليمان محمد، دراسة تاريخية حضارية للطريق المؤدى من منف إلى جنوب سيناء، ص.27-28.

تقريباً، بالتعاون بين المصريين المقيمين بالمنطقة وعمال المحاجر من بعض البدو الساميين الملحقين بالعمل، ومن هنا انتقلت إلى يد الكنعانيين والفينيقين كما سنبين لاحقاً، وقد قاموا بإختراع تلك الأبجدية على "الطريقة الأكروفونية" ، كما يسميها بعض دارسى اللغات وأجروميتها، تلك التى يؤخذ فيها الصوت الأول من نطق الإسم الدال على شكل العلامة المصورة، ليتحول إلى قيمة صوتية مفردة، أى حرفاً واحد ينطق بصوت محدد عندما يدخل فى تركيب الكلمات المختلفة؛ وبذلك التيسير إختزل هؤلاء الساميون كل تلك العلامات الهيروغليفية إلى سبع وعشرين حرفاً أبجدياً فقط مكونة الأبجدية السينائية المبكرة[1]

4.2 الأبجدية الفينيقية وما أنبثق عنها

انتقلت الأبجدية السينائية إلى الكنعانيين، حيث تعلموا النظرية المصرية فى استخدام الحرف الأول من العلامة التصويرية كحرف هيجائى، ثم خرجوا من ذلك بعدد إثنين وعشرين حرفاً هيجائياً؛ فى نحو القرن العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد، وقبيل ذلك بقليل كانت الأبجدية فى جبيل ثم فى راس الشمرا (أوجاريت)، والتى تكتب بالخط المسمارى تأثراً بحضارة العراق القديم كانت أن شقت طريقها للوجود ربما منذ القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد، ثم تأثرت بالأبجدية الفينيقية وكتب بها ونقل من خلال تعلمها نصوصهم سكان الجزيرة العربية، وسكان اليمن ربما فى القرن التاسع قبل الميلاد، كما أقتبس بعضها قدامى الإغريق وقد أضافوها إلى كتابتهم المقطعية القديمة[2]؛ وتعد الفينيقية المنقولة عن الكنعانية متأثرة بشدة بالأبجدية السينائية المصرية، كما كانت ذات تأثير على ما تلاها من أبجديات سامية وصولاً إلى الإغريق والرومان من بعدهم، وقد تأخر ظهور الكتابة فى الجزر البريطانية إلى القرن الأول الميلادى عندما أدخل الرومان أبجديتهم إليها[3]؛ وفيما ذكره هيرودوت بأن الفينيقى "قدموس" هو مبتكر الأبجدية ومن نقلها إلى بلاد اليونان[4] (شكل 4)؛ وربما بعد هذا العرض نتفق مع رأى على فهمى خشيم الذى يقول أن هناك أصل لغوى قديم أو كما سماها اللغة العروبية الأم الأولى التى إنبثق منها كل لغات منطقة الشرق الأدنى القديم طبقاً لما هو وارد بدراسات اللغويين، التى استعرضها بشكل جيد على فهمى خشيم[5]؛ الذى أرانى أميل للإتفاق معه فى ذلك الرأى، أو أن تكون تلك اللغة الأم هى المصرية القديمة ذاتها؛ ذلك حيث أن علماء

---

[1] عبدالمنعم عبدالحليم سيد، "تراث حضارة مصر الفرعونية فى الحضارة الإنسانية"، فى مجلة المؤرخ العربى. المجلد 10, العدد10, (القاهرة 2002)، ص.48 :49.

[2] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج.1، (مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة 1962)، ص.175؛ 231 هامش (1).

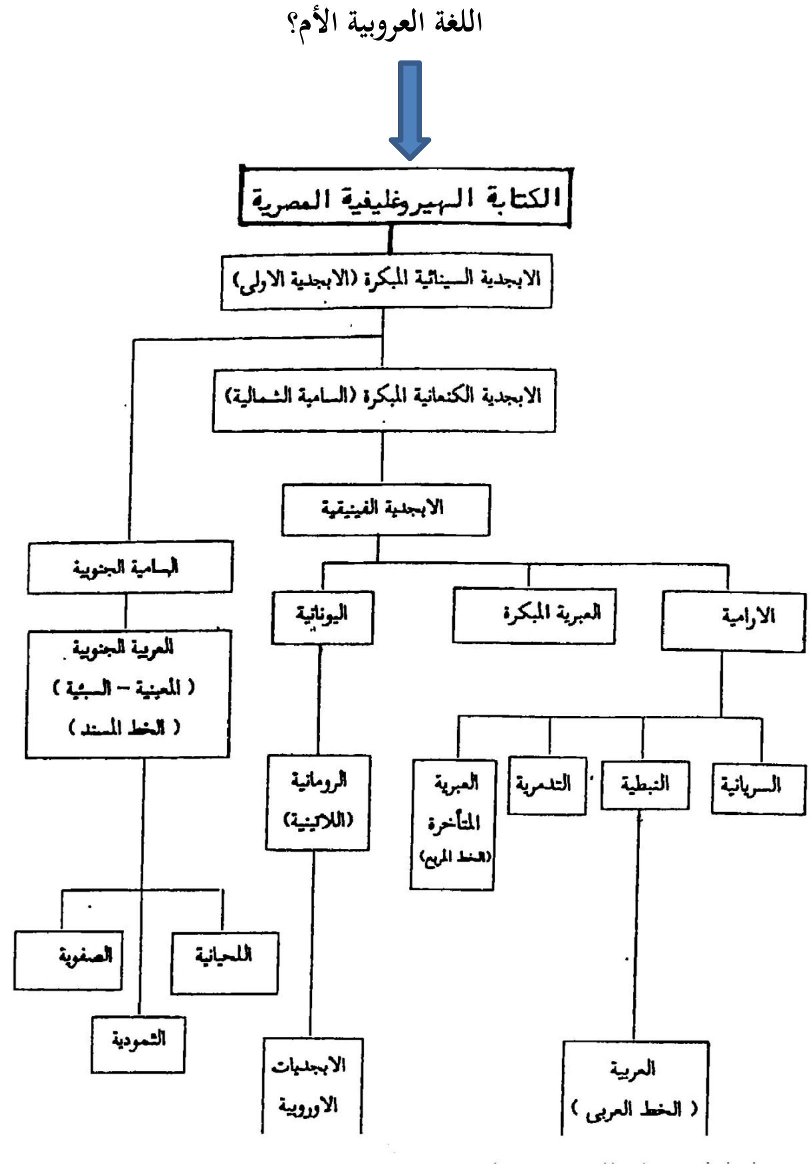
[3] عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج.1، 231 هامش (1).

[4] علي فهمي خشيم: رحلة الكلمات، مركز الحضارة العربية، ط2، (القاهرة، 2001م)، ص 9 : 15.

[5] للدراسة التفصيلية حول تلك الجزئية يراجع:

اللغويات لم يجدوا أو لم يستطيعوا التوصل لتلك اللغة الأم التى أفترضوا وجودها فى حين كانت المصرية القديمة ظارهة جلية فى كل الأبجديات، مما يدعم فرضية كونها اللغة الأم التى يبحثون عنها –فى الأغلب–.

شكل (4) يوضح أصل وفروع الأبجديات القديمة



على فهمى خشيم،

تحليل:

مما تقدم **نجد** أن إختراع الكتابة قد تزامن وتقاسم بداياته وتطور أسلوبه مبكراً كل من المصريين والسومريين على حد سواء وذلك فى نحو الألف الرابع قبل الميلاد.

فى حين توقف تطور الكتابة بالخط المسمارى إلى أبجدية محددة العلمات، إلا أنها أصبحت الكتابة المستخدمة فى الوثائق الدبلوماسية الدولية منذ الألف الأول قبل الميلاد.

تطورت أبجدية مختصرة من العلامات المصرية القديمة فى سيناء ومنها إنتقلت إلى الفينيقين؛ أى أن الأبجدية كانت إختراعاً مصرياً خالصاً، أهدته مصر للبشرية، وتلقفته دويلات سوريا الكبرى تعديلاً وتيسراً فى الإستخدام، فكانت الأبجدية الفينيقة التى انطلق منها نظم الكتابات القديمة جلها (بإستثناء نظام الكتابة والأبجدية فى الشرق الأقصى خاصة اليابان والصين).

ومن خلال الكتابة والتدوين انتقلت المعارف والعلوم من مصر والشرق الأدنى إلى دويلات العالم القديم؛ ثم عليها قامت الحضارة اليونانية فالرومانية، وعيلهما بُنيت الحضارة الأوروبية التى لاريب وأن جذورها ضاربة فى عمق أرض الشرق الأدنى القديم.

الخاتمة:

نخلص من تلك الورقة إلى أهمية منطقة الشرق الأدنى القديم فى إختراع الأبجدية، وإنبثاق جل اللغات السامية من لغة أم قديمة قد تتمثل فى المصرية القديمة ذاتها؛ أو أصل سابق عنها؟، وأن الحضارة الإنسانية الحالية التى نحياها ما هى إلا نتاج لحضارة الشرق الأدنى القديم.

وعلى الرغم من أنانه لم يستطع أى متخصص – حتى الآن- إعطاء إجابة يقينية عن أيهما أقدم فى التواجد الكتابة المصرية أم الكتابة العراقية القديمة، إلا أن الحفائر الأخيرة – حتى الآن- تعطى أسبقية للحضارة المصرية بفترة زمنية وجيزة لا تتعدى قرنين من الزمان.

ونخرج من تلك الورقة بتوصية هامة وهى إفساح المجال للدراسات اللغوية، وتشجيع الدارسين عليها بشكل الدراسات المقارنة والتحليلية.

ثم التوصية بضرورة نشر نتائج دراساتنا فيما يتعلق بالتأثير الكبير لحضارة الشرق الأدنى القديم على حضارة الإغريق ورومان والذى مثلت القاعدة الأساسية التى انبثقت منها الحضارة الإنسانية الحالية.

والله ولى التوفيق